العدد 10 مجلة دراسات في الإنسانيات والعلوم التربوية تموز 2025
No. 10 Journal of Studies in Humanities and Educational Sciences July 2025
Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264

المنهجية المقاصدية في التفسير المعاصر: دراسة تطبيقية

أ.م.د فارس فضيل عطيوي
جامعة الكوفة / كلية التربية الأساسية
Email : faris.fadeel@uokufa.edu.iq
Phone : 07827583252

يهدف هذا البحث إلى دراسة المنهجية المقاصدية في التفسير المعاصر من خلال تحليل النماذج التي اعتمدت على مقاصد الشريعة كأداة لفهم النص القرآني. فيسلط البحث الضوء على الأسس النظرية لهذا المنهج، ودوافع ظهوره في العصر الحديث، ويحلل تطبيقاته العملية مع التركيز على جهود مفسري الإمامية، مع الاستعانة ببعض النماذج من مدارس تفسيرية أخرى كمصادر داعمة. اعتمد البحث على المنهج الوصفي والتحليلي والنقدي لدراسة نصوص المفسرين وتحليل مدى التزامهم بضوابط التفسير وأصوله. وتوصل البحث إلى أن المنهجية المقاصدية قدمت إسهامًا مهمًا في تجديد التفسير، لكنها تتطلب التقيّد الدقيق بالضوابط العلمية والشرعية. أوصى البحث بضرورة استمرار تطوير هذا المنهج بما يحقق التوازن بين مقاصد الشريعة وضوابط النص القرآني.

الكلمات المفتاحية :المنهجية المقاصدية، التفسير المعاصر، المقاصد الشرعية، التفسير الإمامي، أصول التفسير.

The Maqasid Methodology in Contemporary Interpretation: An Applied Study

FARIS FADHEEL OTAIWI

English Summary:

The present research is aimed at the consideration of the approach to the methodology of maqasid-based interpretation in modern exegesis based on models that use the objectives of Islamic law as a tool for interpretation of the Qur'anic text. The research reveals the theoretical grounds of this approach, motives for its development in the modernity, and the calculation of its practical usage, paying a primary attention to the works of Shi'a Imami exegetes while using certain works from other interpretive schools as support. The research uses descriptive, analytical, critical means to appraise the interpretative texts and the degree of adherence to principles and guidelines of exegesis. The study concludes that maqasid approach has contributed remarkably to the contemporary Qur'anic interpretation, but only insofar as it is used strictly within the boundaries of scholarly and legal criteria. The research suggests the further refinement of this methodology in order to reconcile Islamic law goals with textual limitations of the Qur'an.

Keywords: Maqasid methodology, contemporary exegesis, Islamic legal objectives, Imami interpretation, principles of Qur'anic interpretation.

المقدّمة :

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الأنبياء والمرسلين محمد الصادق الأمين وعلى أهل بيته الطيبين وصحبه المنتجبين .

شهدت مناهج التفسير تطوراً ملحوظاً في العصر الحديث، نتيجة الحاجة إلى قراءة النص القرآني قراءة تستجيب لمتغيرات الواقع وتحدياته. ومن بين أبرز هذه المناهج، برزت المنهجية المقاصدية بوصفها إطاراً علمياً يستند إلى فهم مقاصد الشريعة في تفسير النصوص القرآنية. يمثل هذا المنهج محاولة لإحداث توازن بين النص والواقع، وبين الثوابت والمتغيرات، من خلال توظيف المقاصد الشرعية كمعايير لفهم دلالات النص. وتأتي هذه الدراسة لتسلّط الضوء على هذا الاتجاه التفسيري، وخاصة عند علماء الإمامية، مع تقديم رؤية نقدية لتطبيقاته وضوابطه، ومدى إسهامه في تجديد منهجية التفسير القرآني في العصر الحديث.

إشكالية البحث

تتمحور إشكالية البحث حول التساؤل الرئيس:

ما حدود مشروعية استخدام المنهجية المقاصدية في التفسير المعاصر؟

ويتفرع عن هذا السؤال الرئيس عدة تساؤلات فرعية، من أبرزها:

- هل يعدّ هذا التوجه استجابة حقيقية لمقاصد الشريعة أم أنه يشكل خروجًا عن ضوابط التفسير المأثور؟
- ما مدى قدرة هذا المنهج على تحقيق التوازن بين مقاصد الشريعة ومراد النص القرآني؟
- كيف تعامل علماء الإمامية مع هذا الاتجاه التفسيري؟

أهمية البحث

تتضح أهمية هذا البحث في عدة جوانب:

- تقديم رؤية أكاديمية متكاملة حول المنهجية المقاصدية في التفسير، وخاصة عند مفسري الإمامية.
- تسليط الضوء على مدى إسهام هذا المنهج في تجديد علم التفسير.
- سد الفجوة البحثية حول هذا الموضوع الذي لم يُدرس بصورة معمقة في السياق الإمامي المعاصر.
- تقديم قراءة نقدية للنماذج التفسيرية التي تبنت هذا الاتجاه، وتقويم مدى التزامها بالضوابط العلمية والشرعية.

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى:

1. توضيح الأساس النظري للمنهجية المقاصدية في التفسير.
2. بيان أسباب ودوافع نشوء هذا الاتجاه التفسيري في العصر الحديث.
3. تحليل نماذج تطبيقية من التفسير المقاصدي عند مفسري الإمامية وبعض المفسرين من مدارس أخرى.
4. تقويم مدى التزام هذه النماذج بضوابط التفسير وأصوله.

منهجية البحث

يعتمد البحث على المنهج الوصفي والتحليلي في عرض وتحليل المفاهيم والنظريات المرتبطة بالمنهجية المقاصدية، إلى جانب المنهج النقدي في دراسة النصوص التفسيرية المعاصرة.

Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264

تُركز الدراسة أساساً على نماذج مختارة ، مع الاستعانة ببعض الدراسات المساندة من مدارس أخرى لدعم التحليل والمقارنة، دون الإخلال بالتركيز الأساسي على المدرسة الإمامية، وفق توجيهات لجنة البحث.

حدود البحث

تقتصر الدراسة على تحليل النماذج التفسيرية التي تبنّت المقاصد بوضوح في منهجها التفسيري، ولا تشمل جميع مدارس التفسير الأخرى. كما ينحصر الإطار الزمني للبحث في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين، مع التركيز على أعلام الفكر التفسيري عند الإمامية. لا يتطرق البحث إلى الجوانب الفقهية التفصيلية للمقاصد، بل يركز على بعدها التفسيري في ضوء النص القرآني.

المبحث الأول

الإطار النظري للمنهجية المقاصدية

المطلب الأول: المقاصد الشرعية وموقعها في أصول التفسير

يشير مصطلح **مقاصد الشريعة** إلى الغايات العامة التي شرع الله تعالى الأحكام لتحقيقها، والتي تهدف إلى مصالح العباد وحماية حقوقهم الدينية والدنيوية، وذلك وفق منظومة من القيم التي تضبط حياة الإنسان الفردية والاجتماعية. وتُعد مقاصد الشريعة جوهر التشريع الإسلامي، إذ إنها تعكس إرادة الشارع في تحقيق الخير العام والعدالة والرحمة والاستقرار. ومن أهم هذه المقاصد التي أجمعت عليها المدارس الفقهية :**حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ النسل، وحفظ المال**، وهي ما يُعرف بالكليات الخمس التي تشكل حجر الأساس في بناء الفقه الإسلامي.

يقصد بالمنهجية المقاصدية في التفسيرهو المنهج الذي يعتمد على فهم النصوص القرآنية من خلال استحضار أهداف الشريعة ومقاصدها الكلية، بحيث يتم توجيه معاني الآيات بما يحقق الغايات العليا

للتشريع الإسلامي. ويقوم هذا المنهج على الجمع بين دلالات النص اللغوية والبيانية، وبين أهدافه التشريعية والاجتماعية، بما يحقق التوازن بين الثبات والمرونة في التعامل مع النص القرآني. [1]

وفي أصول التفسير، تُعتبر مقاصد الشريعة أحد أهم المحاور التي يرتكز عليها المفسرون لفهم آيات القرآن الكريم وتوجيه دلالاتها. فالتفسير لا يقتصر على بيان معنى الألفاظ، بل يتعدى ذلك إلى استكشاف مرامي النصوص والكشف عن الغايات العليا التي أرادها الله لعباده. ولهذا عرّف كثير من العلماء، وفي مقدمتهم المرجع الكبير السيد الخوئي، التفسير بأنه **"بيان معاني الآيات القرآنية والكشف عن مقاصدها ومداليلها"**، وهو تعريف يظهر بوضوح التداخل بين مقاصد الشريعة وبين علم التفسير.

ينطلق المفسر الإمامي من قناعة أساسية بأن للقرآن ظاهرًا وباطنًا، وأن الوصول إلى المعاني العميقة للنصوص يتطلب استحضار المقاصد الشرعية لفهم الغاية من الأحكام والتشريعات. وقد أكد العلامة الطباطبائي، أحد أبرز أعلام التفسير عند الإمامية، في مقدمة تفسيره الميزان في تفسير القرآن، أن التفسير يجب أن يكون قائمًا على قواعد اللغة العربية وأصول الشريعة، محذرًا من التفسير بالرأي والهوى الذي يُبتعد فيه عن دلالة النص وروحه. واعتبر أن معرفة مقاصد الشريعة أمر ضروري لاستنباط الأحكام التي تستجيب لمتطلبات الواقع من دون أن تبتعد عن ثوابت الدين[2].

يُعد التفسير الإمامي متميزًا بميله إلى تفسير القرآن الكريم من خلال الاعتماد على **الروايات القطعية عن أهل البيت عليهم السلام**، باعتبارهم المصدر الثاني لفهم القرآن بعد النص الإلهي. وتُعد هذه الروايات مرجعية عليا لكونها تصدر عن معصومين، وفق اعتقاد الإمامية، الذين يُعدون الأعلم بمرامي النصوص القرآنية ومقاصدها. وقد ورد في نهج البلاغة عن الإمام علي عليه السلام" :**اسألوني فإن الله لا يسأل عن شيءٍ إلا سألتكم. سلوني عن كتاب الله، لا تسألوني عن شيءٍ ما من آيةٍ إلا وأنا أعلم بليل نزولها أم نهارها"**، مما يدل على علمهم الواسع بتفاصيل النص القرآني ومراميه.

إن مفهوم مقاصد الشريعة في أصول التفسير عند الإمامية، على عكس بعض الاتجاهات الأخرى، ليس مفهومًا فلسفيًا بقدر ما هو منهج علمي يرتكز على النص الشرعي ويستعين بالعقل بوصفه أداة مساعدة على فهم النص. فهم يرون أن مقاصد النص القرآني هي غايات واقعية وقيم عليا تنعكس على حياة الأفراد والمجتمعات، وليست تأويلات ذات طابع شخصي.

وقد درج المفسرون الإماميون على تطبيق هذا المنهج في تحليلهم للنصوص، حيث لا يكتفون باستقراء ظاهر النص بل يسعون دائمًا إلى التحقق من روح النص وما يرتبط به من أحكام وقيم ومبادئ. ويُعد هذا الأسلوب من أبرز أوجه التمايز بين المدرسة الإمامية والمدارس التفسيرية الأخرى، فهو يُبرز مفهوم التفسير الموضوعي الذي يُعنى بتحديد الغاية والمقصد من وراء الآيات لا بمعزل عن سياقها ولا بعيدًا عن حاجات الإنسان والمجتمع و تؤكد أدبيات التفسير الإمامي أن الالتزام بضوابط اللغة، والاستناد إلى النصوص الشرعية، وتحقيق الغايات الربانية في فهم النصوص، هو السبيل الأمثل لعدم الوقوع في التأويل الشخصي أو تحميل النصوص معاني لا تحتملها. ويمثل هذا النهج في التفسير التوازن المطلوب بين النص والمقصد، بين الثابت والمتغير، بين روح التشريع وأحكامه التفصيلية، فإن موقع المقاصد الشرعية في أصول التفسير عند الإمامية يحقق معادلة دقيقة تقوم على الجمع بين ظواهر النصوص ودلالاتها اللغوية وبين مقاصدها التشريعية الكبرى. ويُسهم هذا النهج في إغناء علم التفسير، ويعطيه بعدًا أكثر واقعية وشمولية في التعامل مع متغيرات الحياة الإنسانية، كما يجعله أكثر قدرة على مواكبة التطور الاجتماعي من دون أن يفقد أصالته أو مرجعيته الدينية.

المطلب الثاني: نشأة المنهج المقاصدي وتطوره

[1] الطباطبائي، محمد حسين. الميزان في تفسير القرآن. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بدون تاريخ.
[2] الخوئي، أبو القاسم الموسوي. البيان في تفسير القرآن. قم: مؤسسة نشر التشيع، 1991م.

لقد نشأ مفهوم **مقاصد الشريعة** في قلب الفكر الإسلامي منذ المراحل المبكرة للتشريع، وقد أسس الإمام الشاطبي علم المقاصد بصورة علمية راسخة عبر كتابه الموافقات، محددًا الكليات الخمس التي تهدف الشريعة إلى حفظها، وهو ما أصبح لاحقًا قاعدة لفهم النصوص القرآنية ضمن الإطار المقاصدي [3] وقد تتابع الاهتمام بالمقاصد في المؤلفات الإسلامية بعد ذلك، فذكر مجد الدين الفيروزآبادي (ت817هـ) في كتابه الدر النظيم المرشد إلى مقاصد القرآن الكريم أهمية الكشف عن أهداف الخطاب الإلهي. كما خصص الحافظ برهان الدين البقاعي (ت885هـ) كتابه مصاعد النظر إلى مقاصد السور ليبين فيه العلاقة العضوية بين ترتيب السور والغايات التي تخدمها كل سورة. كذلك نجد أن ابن جُزيّ الكلبي (ت741هـ) أشار في مقدمة تفسيره إلى أن المقصد العام للقرآن هو دعوة الناس إلى عبادة الله وتوحيده، وقسّم ذلك إلى موضوعات مثل العقيدة، العبادات، التشريع، القصص، الأمثال، والبعث والنشور، مبينًا أن لكل موضوع مقصدًا رئيسيًا في الهداية والإصلاح[4].

في العصر الحديث شهد مفهوم المقاصد تطورًا ملحوظًا ضمن التيارات الإصلاحية، خاصة مع صعود الحاجة إلى تجديد مناهج التفسير بما يستجيب لقضايا الإنسان المعاصر. فقد نادى الشيخ محمد عبده (ت1323هـ) بضرورة تجاوز الجمود النصي، ودعا إلى تفسير القرآن بما يتماشى مع مقاصده العامة وأهدافه الإنسانية. وتتلمذ عليه محمد رشيد رضا (ت1354هـ) الذي قام في تفسيره المنار بتحديد أهداف كل سورة وبيان غاياتها التربوية والاجتماعية والأخلاقية، وهو ما مثّل نقلة نوعية نحو اعتماد المنهج المقاصدي في التفسير.

بدوره أكمل الإمام أحمد مصطفى المراغي هذا الاتجاه، إذ عمد إلى تلخيص الحكم والأهداف في ختام تفسيره لكل سورة من سور القرآن الكريم. وقد ذهب الشيخ محمود شلتوت في مؤلفاته إلى أن مقاصد القرآن تدور حول ثلاثة محاور رئيسية هي: العقيدة، الأخلاق، والأحكام. أما العلامة محمد الطاهر بن عاشور (ت1393هـ)، فقد عمّق الفكر المقاصدي وعرّف القرآن بأنه كتاب لإصلاح أحوال الناس، وحدد في كتابه مقاصد الشريعة الإسلامية السمات العامة لهذا المنهج في ثمانية أهداف تتعلق بتحقيق الكرامة الإنسانية، العدالة الاجتماعية، والتكامل بين المصالح الخاصة والعامة و أما في مدرسة التفسير الإمامي، فقد كان للمنهج المقاصدي حضور خاص وإن لم يتم التأصيل له كمبحث مستقل كما فعل الشاطبي وابن عاشور، بل جاء مدموجًا في تحليل النصوص والاعتماد على **الروايات الموثوقة عن أهل البيت عليهم السلام** في كشف أبعاد الأحكام والمفاهيم القرآنية. فالعلامة الطباطبائي في الميزان في تفسير القرآن أكّد على وجوب مراعاة المقاصد الشرعية عند تفسير الآيات وضرورة أن يكون تفسير النص مرتبطًا بروح التشريع الإسلامي وثوابته دون الخروج إلى آراء فردية أو اجتهادات غير منضبطة. [5]

إن تطور المنهج المقاصدي في التفسير عند الإمامية يعكس منهجًا علميًا متزنًا يمزج بين النص والعقل، ويستفيد من التراث الأصولي مع انفتاحه على القضايا الاجتماعية والإنسانية. وتُظهر الكتابات المعاصرة، بما في ذلك الرسائل الجامعية والدراسات النقدية، تنامي الاهتمام بهذا الاتجاه، حيث أصبح الباحثون الشيعة يسعون إلى إبراز كيفية توظيف مقاصد الشريعة في استنباط الأحكام وتفسير النصوص في ضوء مقاصدها الكلية.

المطل الثالث: ضوابط استخدام المقاصد في التفسير

رغم ما يوفره التفسير المقاصدي من مرونة وعمق في فهم النصوص القرآنية، إلا أن العلماء أكدوا أن هذا المنهج لا يمكن أن يُمارس بدون ضوابط دقيقة تحكم استنباط المقاصد وتفسير النصوص في ضوءها.

[3] الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي. الموافقات في أصول الشريعة. تحقيق: عبد الله دراز. بيروت: دار الكتب العلمية، 2003م.
[4] ابن عاشور، محمد الطاهر. مقاصد الشريعة الإسلامية. تونس: دار سحنون، 2001م.
[5] البقاعي، برهان الدين. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. بيروت: دار الكتاب العربي، 1995م.

وتأتي هذه الضوابط كضمانة للابتعاد عن الانزلاق في التأويل الشخصي أو الخروج عن نصوص الوحي. [6]

أولًا: الظهور والثبوت

يُشترط في المقصد الشرعي أن يكون واضحًا جليًّا، بحيث لا يلتبس على الفقهاء أو الباحثين. فالمقاصد المستنبطة يجب أن تستند إلى نصوص قرآنية أو سنية قطعية الدلالة والثبوت، أو أن تكون ثابتة بالإجماع الفقهي، كما هو الحال مثلًا في اعتبار القصاص وسيلة لحفظ النفس البشرية. ويجب أن يتمتع الاستدلال المقاصدي بدرجة من اليقين تتجاوز الظن أو الاحتمال الضعيف؛ فالتأويلات المبنية على قرائن واهية لا تحقق الغاية العلمية ولا تحفظ للنصوص مكانتها كمرجعية مقدسة.

ثانيًا: الانضباط والاعتدال

يعد ضبط المقاصد بحيث لا تتجاوز ما حدده الشارع من أهم الضوابط. إذ إن الاجتهاد في تفسير المقاصد ينبغي أن يكون ضمن حدود النصوص، بحيث لا يؤدي إلى تحميل الأحكام معاني إضافية تُثقل كاهل المكلفين أو تؤدي إلى الحرج والنفور من الشريعة. فالغاية من المقاصد هي تحقيق المصلحة العامة للناس، ولكن هذه المصلحة يجب ألا تكون سببًا في فرض قيود أو تكاليف جديدة لم ينص عليها الشرع. ولهذا يجب على المفسر أن يوازن بين الالتزام بالنصوص واستحضار المعنى المقصدي دون إخلال بالمنهجية العلمية. [7]

ثالثًا: الإطراد والثبات

تفسير المقاصد يجب ألا يتبدل بتغير الزمان أو المكان أو الأشخاص. فالمعاني العامة للآيات والمقاصد الكبرى للتشريع الإسلامي، كتحقيق العدالة، صيانة الحقوق، وحماية الضروريات الخمس، يجب أن تظل ثابتة في كل العصور. وهذا لا يعني إلغاء المرونة التي تتيحها الشريعة في فروع الأحكام، بل المقصود ألا يتحول التفسير المقاصدي إلى أداة لإلغاء النصوص أو إحداث تغييرات تمس جوهر التشريع. وقد أكد علماء الإمامية على ضرورة الحفاظ على هذا الثبات حتى لا تنفصل النصوص عن مقاصدها الحقيقية في ظل التحولات الاجتماعية المتغيرة.

رابعًا: لغة النص والتكامل القرآني

يجب أن يقوم أي اجتهاد مقاصدي على أساس فهم دقيق للغة النص القرآني. فالتفسير المقاصدي لا يتجاوز حدود البيان اللغوي ولا يهمل دلالات الألفاظ وفق قواعد اللغة العربية، ولا سياق الكلام ونظمه كما اعتاده العرب زمن النزول. ولا يمكن قبول تأويل لا يتوافق مع المعنى اللغوي الظاهر للفظ، أو يتصادم مع السياق العام للآية، ينبغي على المفسر أن يلتزم بمبدأ التكامل القرآني، أي أن يتم تفسير الآية الواحدة في ضوء باقي الآيات ذات العلاقة، باعتبار أن القرآن وحدة متماسكة لا تقبل التناقض. فإذا ما تبين أن تأويلاً مقاصديًا لآية ما يتعارض مع أهداف عامة للقرآن أو مع دلالات صريحة في مواضع أخرى، وجب التراجع عنه حفاظًا على الانسجام والتوافق بين مقاصد القرآن وأحكامه. [8]

[6] محمد رشيد رضا. تفسير المنار. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م
[7] المراغي، أحمد مصطفى. تفسير المراغي. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1969م.
[8] محمود شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة. القاهرة: دار الشروق، 1993م.

المبحث الثاني

المنهجية المقاصدية في التفسير المعاصر

المطلب الأول: دوافع التوجه نحو التفسير المقاصدي

تنبع الحاجة إلى التفسير المقاصدي في العصر الحديث من جملة عوامل منهجية وفكرية متشابكة، تعكس أزمات الواقع المعاصر وتطلعات التجديد الفقهي والفكري في العالم الإسلامي. فقد أدى الجمود في بعض مناهج التفسير التقليدية، التي اقتصرت في كثير من الأحيان على الوقوف عند ظاهر الألفاظ والمعاني المباشرة، إلى بروز دعوات أكاديمية ومنهجية تدعو إلى إعادة الاعتبار للمقاصد الكلية والغايات العليا للنص القرآني. وأصبح التفسير المقاصدي يُنظر إليه بوصفه أحد أكثر مناهج التفسير حاجة لواقعنا الحالي؛ لأنه يضفي بعدًا وظيفيًا وإنسانيًا على النص القرآني، ويزيل عنه الجمود، ويحرره من الإطار الحرفي الضيق الذي قد يعوق إدراك المعاني الشاملة للآيات.[9]

لقد برزت دراسات متعددة في هذا السياق، تؤكد أن المنهج المقاصدي يعمل بمثابة "بوصلة معرفية" للمفسر، توجهه نحو التعرف على مراد الله تعالى من التشريعات والقصص القرآني، من خلال ربط الجزئيات بالكلّيات، والتفاصيل بالمقاصد العامة للشريعة. ويتميز هذا الاتجاه بتقديمه قراءة أكثر انسجامًا مع تحديات العصر؛ إذ يُمَكِّن المفسر من تجاوز الإشكالات التقليدية التي نشأت عن تضخم الجدل اللغوي والبلاغي على حساب البعد العملي والرسالي للخطاب القرآني.

وقد عززت التحولات الفكرية والاجتماعية في العالم الإسلامي الحاجة إلى التفسير المقاصدي، سواء على المستوى الفكري أم السياسي أم الاجتماعي، في تعزيز الحاجة إلى هذا المنهج. فمع اتساع رقعة الأزمات الفكرية وبروز تيارات الشك والطعن في الثوابت الإسلامية، ومع التغيرات الهائلة في أنماط الحياة وتعدد المستجدات التي لم يتناولها الفقه التقليدي بشكل مباشر، أصبح استدعاء المقاصد القرآنية مدخلًا رئيسًا لمعالجة هذه التحديات بروح متجددة تجمع بين الثبات والمرونة. كما أظهرت الدراسات المهتمة بالاجتهاد المعاصر أن استقراء مقاصد الأحكام وتوظيفها في ضوء الواقع يسهم بشكل فعّال في حماية العقل المسلم من الوقوع في الإفراط أو التفريط، ويحقق التوازن بين حفظ الدين ومراعاة مصالح الناس.

وقد أكد عدد من الباحثين أن الأزمة الحضارية التي يعيشها العالم الإسلامي اليوم، والتي أفضت إلى تراجع مكانة المسلمين في ميادين العلوم والفكر، كانت نتيجة حتمية لتغييب فقه المقاصد وتهميش البعد الرسالي والأخلاقي للنصوص. ومن هنا جاءت الدعوة الملحّة لإحياء التفسير المقاصدي، باعتباره مشروعًا متكاملاً يروم إعادة قراءة القرآن بمنهج مقاصدي يعيد الأمة إلى روح القرآن الكريم التي تدعو إلى الإصلاح والتجديد وتحقيق كرامة الإنسان، وذلك بعيدًا عن النزعة الشكلية التي سادت في بعض مراحل التاريخ التفسيري.[10]

إن التفسير المقاصدي، وفق ما تقرره الدراسات المعاصرة، يشكّل محاولة لإحداث التوازن بين سلطة النص وسلطة العقل؛ فالنص يظل المصدر الأول والنهائي للتشريع، لكن لا يتم إغفال دور العقل في فهم أبعاده الكلية والإنسانية. ومن هنا، فإن المنهج المقاصدي يهدف إلى تحقيق الانسجام بين نصوص القرآن

[9] ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1997.
[10] فريد الأنصاري، ، مجالس القرآن: مدارسات في التفسير المنهجي، دار السلام للنشر والتوزيع، القاهرة، 2010.

ومقاصدها العليا من حيث حفظ الضروريات الخمس: الدين، النفس، العقل، النسل، والمال، كما أقرها علماء أصول الفقه الكلاسيكيون كالإمام الشاطبي.

وتشير الأدبيات العلمية إلى أن المنهج المقاصدي لا يدعو إلى تجاهل ظاهر النص أو تجاوزه، بل يسعى إلى استكماله بفهم مقاصد التشريع وعلله، وهو ما يجعل من التفسير المقاصدي قراءة تكاملية للنص، بحيث ينأى عن القراءة التجزيئية أو الانتقائية، ويُعزز من دور النص في تشكيل الوعي الاجتماعي والإنساني للأمة. ويؤكد بعض الباحثين أن هذه المقاربة ضرورية لتجاوز حالات الجمود والانغلاق التي عرفها الفكر التفسيري التقليدي، كما أنها تحمي الاجتهاد التفسيري المعاصر من الوقوع في منزلقات التأويل المنفلت الذي يفكك النص من مقاصده العليا. [11]

المطلب الثاني: أبرز أعلام التفسير المقاصدي في العصر الحديث

برز في العصر الحديث عدد من العلماء الذين أسسوا لاتجاه التفسير المقاصدي، وسعوا إلى ترسيخ هذا التوجه ضمن مشروع متكامل للتجديد الفقهي والتفسيري. ويأتي في مقدمة هؤلاء الإمام العلامة التونسي محمد الطاهر بن عاشور ، الذي يعتبر بحق رائد التفسير المقاصدي في العصر الحديث. فقد جعل من تفسيره الموسوعي **"التحرير والتنوير** "نموذجًا عمليًا لتطبيق المنهج المقاصدي في تفسير النص القرآني. وفي مقدمة هذا العمل، قدّم ابن عاشور رؤية تأسيسية حول أهمية بيان مقاصد القرآن الكريم، مؤكداً أن الاقتصار على الألفاظ اللفظية لا يحقق الفهم الكامل للنصوص، بل لا بد من النفاذ إلى مقاصدها وغياتها التشريعية والإنسانية.

وقام ابن عاشور بتقسيم مقاصد القرآن إلى أنواع تتدرج بين المقاصد العامة والمقاصد الخاصة، معتبرًا أن معرفة هذه المقاصد شرط لفهم الأحكام الشرعية ودراسة النص القرآني بمنهج علمي متكامل. كما دعا إلى ضرورة تفعيل هذه المقاصد في الاستنباط، بحيث تصبح هاديًا للمفسر في عملية الاجتهاد والتأويل، بعيدًا عن الجمود والتقليد الذي طبع كثيرًا من مناهج التفسير السابقة. ويُحسب لابن عاشور أيضاً إرساؤه قاعدة أن الشريعة الإسلامية جاءت لإصلاح حياة الناس وتحقيق مصالحهم الدنيوية والأخروية، مع إبرازه لفكرة أن "إصلاح العالم" مقصد رئيس من مقاصد التشريع، يستدل عليه من خلال تتبع نصوص القرآن الكريم في مجملها.

وفي المغرب العربي، برز الدكتور **فريد الأنصاري** (1960-2009م)، وهو أحد أبرز رواد المنهج المقاصدي في العصر الحديث. فقد قدّم إسهامات فكرية ومنهجية كبيرة في تأصيل هذا الاتجاه ضمن كتاباته ومحاضراته، وسعى إلى بناء تصور متكامل لعلم أصول التفسير يقوم على المقاصد الشرعية كركيزة لفهم النصوص. ويدعو الأنصاري في هذا السياق إلى قراءة القرآن قراءة تربوية مقاصدية، تدمج بين بيان المعنى الظاهري للنصوص وبين الكشف عن أبعادها القيمية والاجتماعية، بما يحقق الإصلاح الفردي والمجتمعي. [12]

أما على مستوى الفكر العربي المعاصر، فقدّم المفكر المغربي **محمد عابد الجابري** (1935-2010م) رؤية متميزة في التعامل مع النصوص الإسلامية من خلال بحثه في إشكاليات العقلانية العربية ووظيفة المقاصد في بناء منظومة معرفية جديدة. وطرح الجابري مقاربة نقدية لفهم التراث الإسلامي، داعياً إلى ضرورة تجاوز الجمود التقليدي عبر ربط النصوص بالسياق التاريخي والحضاري الذي أنتجها، لكنه في ذات الوقت واجه نقدًا من بعض المفكرين حول محاولاته التجريدية التي قد تؤدي إلى فصل النص عن روح الشريعة. [13]، ساهم علماء آخرون في ترسيخ هذا التوجه، من أبرزهم **أحمد الريسوني**، الذي أكّد في كتابه "نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي" أن المقاصد الشرعية ليست مجرد وسائل تفسيرية بل

[11] محمد عابد الجابري، ، فهم القرآن الحكيم: التفسير الواضح حسب ترتيب النزول، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006
[12] طه عبد الرحمن، سؤال الأخلاق: مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000.
[13] علي حبيب سعيد العزاوي. (2023). التراث الاسلامي والحداثة عند محمد عابد الجابري. مجلة جامعة بابل للعلوم الانسانية، 31(8)، 220-242.

تمثل منهجًا متكاملاً يعيد ترتيب علاقة الفقيه بالنص. وقد تميزت مقاربته بالجمع بين المحافظة على الثوابت الدينية والانفتاح على متغيرات الواقع ومتطلباته.

تتسم هذه التيارات الفكرية بالتنوع: فهناك تيار تجديدي محافظ كما يمثله ابن عاشور وفريد الأنصاري، يحرص على تأصيل التفسير المقاصدي ضمن قواعد أصول الفقه التقليدية، وهناك تيار حداثي إصلاحي يمثله الجابري والريسوني، يسعى إلى قراءة النصوص قراءة عقلانية معاصرة تربط بين الوحي والعقل والتاريخ، أكد الطاهر بن عاشور في أعماله أن القرآن الكريم يتضمن إشارات واضحة إلى ضرورة "إصلاح العالم" عبر إحقاق العدالة، وتحقيق الأمن الاجتماعي، ونشر القيم الأخلاقية الراقية. ويبرز هذا المفهوم في العديد من الآيات التي تتحدث عن سنن الله في الكون والإنسان والمجتمعات، مما يعكس رؤية ابن عاشور الشاملة لمهمة المفسر كفاعل إصلاحي يسعى لفهم النص وتطبيقه وفق مقتضيات المقاصد العليا للشريعة. [14]

المطلب الثالث: الاتجاهات الفكرية في استخدام المقاصد

شهد الفكر الإسلامي المعاصر جدلاً واسعًا حول مفهوم المقاصد وكيفية توظيفه في تفسير القرآن الكريم. ويمكن تمييز اتجاهين رئيسين في هذا المجال:

الاتجاه الأول يمثّل **الاجتهاد التجديدي المنضبط**، وهو اتجاه يسعى إلى قراءة النصوص في ضوء مقاصدها العليا دون الإخلال ببنيتها النصية ولا بمقتضيات أصول الفقه التقليدي. يرتكز هذا الاتجاه على قاعدة أن "التجديد يجب أن يكون في الفهم لا في النص"، أي أن مهمة المجتهد تتمثل في تجديد آليات الفهم وأساليب التعامل مع النصوص وفقاً للسياق المعاصر، مع المحافظة الكاملة على ثوابت الشريعة. وقد عبّر عن هذا الاتجاه كثير من العلماء مثل أحمد بيبرس الذي أشار إلى أن "تجديد الاجتهاد المقاصدي يقوم على ضبط علاقة المجتهد بالنص، بحيث لا تتحول المقاصد إلى ذريعة لتجاوز النصوص أو تأويلها بشكل مفرط." [15]

ويعد هذا الاتجاه أن التفسير المقاصدي يقدم وسطية علمية بين النزعة الحرفية الصارمة التي تقتصر على ظاهر الألفاظ، وبين الاتجاهات التأويلية الحداثية التي تنزع إلى تفكيك النص وربطه حصرياً بالسياق التاريخي، مما قد يؤدي إلى فقدان النص لثوابته العقدية والتشريعية. كما يرى أصحاب هذا التيار أن مقاصد الشريعة قادرة على تقديم رؤى عقلانية ومنفتحة تتماشى مع حاجات العصر، لكن دون أن تمس جوهر العقيدة وأحكامها القطعية. فقد شددوا على أن "الثوابت الإسلامية لا تقبل التغيير"، لأنها بمثابة القواعد الحاكمة للحياة الإسلامية، حتى مع تطور الظروف والأحداث. ومن هنا أكدوا ضرورة إخضاع عملية استنباط المقاصد لمنهجية علمية واضحة تستند إلى أصول الفقه المعتبرة، والابتعاد عن الاجتهاد الشخصي غير المنضبط الذي قد يفضي إلى الفوضى الفكرية أو التشريعية. [16]

أما الاتجاه الثاني فهو ما يُطلق عليه **الاستخدام الأيديولوجي للمقاصد**، وهو اتجاه ينتقده معظم علماء المقاصد المعاصرين. يتمثل هذا الاتجاه في لجوء بعض المفكرين والتيارات الفكرية إلى توظيف مفهوم المقاصد بطريقة انتقائية أو مسيّسة، تهدف إلى خدمة أهداف فكرية أو سياسية معينة خارج الإطار العلمي والشرعي. ويُتهم هذا التيار بإفراغ النصوص من معانيها الحقيقية عبر إخضاعها لتأويلات مفرطة تتجاوز حدود الدلالة النصية ومقاصد الشريعة المتعارف عليها في التراث الأصولي.

وقد حذّر الإمام محمد الطاهر بن عاشور من خطورة "الاقتصار المطلق على ظاهر الأدلة اللفظية مع إغفال مقاصدها"، حيث يؤدي هذا المنهج إلى تعطيل الحكمة التشريعية، ويُفضي إلى فهم قاصر

[14] أحمد الريسوني، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1992

[15] أ حمد عبد المجيد بيبرس، ، "مقاصد الشريعة وعلاقتها بالتفسير الموضوعي للقرآن الكريم"، مجلة كلية الشريعة والقانون بطنطا، جامعة الأزهر، العدد 32، 2017.

[16] حفظي عبد العال، و محروس رمضان. (2022). أوجه الاستفادة من التفسير المقاصدي للقرآن الكريم في الواقع المعاصر. مجلة قطاع أصول الدين، 17(17)، 81-260.

للنصوص لا يراعي أبعادها القيمية والاجتماعية. كما بيّن الباحثون المعاصرون أن بعض الممارسات التأويلية الحداثية قد انزلقت إلى اعتماد "التأريخية الزائدة"، أي ربط النصوص بشكل كامل بظروف نزولها التاريخية، وإغفال بعدها التشريعي المستمر. [17]

وتجدر الإشارة إلى نقد الفيلسوف المغربي طه عبد الرحمن لنموذج محمد عابد الجابري في قراءته للتراث، حيث رأى أن الجابري قد تبنى نموذجًا عقلانيًا مفرطًا تجاه النصوص، وهو ما جعله - في نظر عبد الرحمن - يتجاهل "تكاملية التراث" بوصفه وحدة متماسكة بين النص والمقصد والسياق، لا مجرد منتج ثقافي قابل لإعادة التأويل وفق متطلبات الفكر الحداثي، يرى غالبية الباحثين أن الحل يكمن في إيجاد **منهجية اجتهادية مقاصدية واقعية**، تحافظ على المقاصد العامة للشريعة الإسلامية ضمن إطار فهم النصوص، مع التزام صارم بضوابط الاستنباط والتفسير الأصيل، بما يحول دون تحويل المقاصد إلى وسيلة لتحقيق أهداف شخصية أو جماعية خارجة عن الشرع.

المبحث الثالث

الدراسة التطبيقية

المطلب الأول: دراسة نموذج الطاهر بن عاشور (التحرير والتنوير)

يُظهر الإمام محمد الطاهر بن عاشور اهتمامًا واضحًا ومركزيًا بمقاصد الشريعة في تفسيره للقرآن الكريم، وخاصة في موسوعته الشهيرة التحرير والتنوير .ينطلق ابن عاشور من رؤية علمية مؤداها أن النص القرآني ليس مقطوع الصلة بحياة الناس، بل هو موجه إلى تحقيق الغايات الشرعية العليا التي أرادها الله عز وجل لعباده. ويُجمع الدارسون والباحثون في مناهج التفسير المقاصدي أن ابن عاشور قد وظف هذا المنهج بأسلوب متفرد، حيث "أخذ بالمقاصد، واستفاد منها في أقواله، وفضّل بين اختلافات العلماء بما يوافق مقصدًا عامًا أو مقصدًا جزئيًا للآية."

إنَّ ما يميز ابن عاشور هو إصراره على إعمال النظر والتدبر العميق في النصوص القرآنية بهدف الكشف عن الحكمة التشريعية من الأحكام، بعيدًا عن الاقتصار على ظاهر الألفاظ أو الجمود عند معانيها الأولية. فقد أكد بوضوح على ضرورة «طلب قصد الشارع في كتابه، وتوجيه المعاني وربط سياقات النصوص المتنافرة، واستنباط المعنى العام للسورة، والكشف عن مقاصد الشارع من أحكامه». ويُعتبر هذا المنهج تحولًا نوعيًا في مسار التفسير القرآني، حيث تجاوز الإطار التقليدي الذي كان يحصر التفسير في حدود بيان المعاني اللفظية إلى البحث عن الغايات التشريعية الكبرى. [18]

كما يتميز تفسير التحرير والتنوير بمنهجية مقاصدية واضحة المعالم؛ فهو يعتمد على أدوات التفسير المتعددة، مثل علم اللغة، وعلم البلاغة، وعلم أصول الفقه، وغيرها من العلوم المساندة التي توظف

[17] عابد، نجيبة، بركاني و أم نائل. (2022). معالم التفسير المقاصدي عند الإمام ابن عطية الأندلسي من خلال تفسيره المحرر الوجيز. مجلة الشهاب، 8(3)، 123-146.
[18] ابن عاشور، محمد الطاهر. التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية للنشر، 1984.

جميعها للكشف عن مقاصد النصوص القرآنية. ويؤكد الباحثون أنّ هذا المنهج قد مكّن ابن عاشور من إبراز الحكمة الشرعية الكامنة وراء كل موضوع تناوله في تفسيره، حيث يظهر التكامل بين الدلالة الفقهية للنص وبين الغاية التشريعية منه، بعيدًا عن الجمود اللغوي أو النقل الحرفي للمعاني.

وقد كان ابن عاشور من الأوائل الذين أسّسوا لعِلم المقاصد كعلم مستقل، إذ بيّن في كتابه مقاصد الشريعة الإسلامية أنَّ هذا العلم يقوم على استقراء النصوص الشرعية لمعرفة حكمتها وغايتها النهائية، مستخلصًا بذلك مقاصد الأحكام من مباحث أصول الفقه بأسلوب عقلي دقيق، مع إضفاء طابع الاجتهاد الراشد في الربط بين الجزئيات والكليات وفي تفسيره للقرآن، عمد ابن عاشور إلى عرض أعلى الغايات القرآنية بشكل ممنهج؛ فقد قرر أن القرآن نُزِّل على النبي محمد ﷺ ليكون «كتابًا لصلاح أمر الناس كافة ورحمة لهم، وتبليغهم مراد الله»، مؤكدًا أن المقصد الأعلى فيه هو تحقيق "صلاح الأحوال الفردية والجماعية والعمرانية". ولذلك، فإن هدفه لم يكن مجرد بيان الأحكام، وإنما تقديم رؤية شاملة عن النظام الإلهي الذي يسعى لإسعاد الإنسان في الدنيا والآخرة، من خلال تحقيق كرامته الإنسانية وإقامة العدل والمساواة، وتنظيم شؤون الحياة بما ينسجم مع سنن الله في الكون. [19]

وقد عمل ابن عاشور على بناء هذا التصور الشمولي من خلال ربط مقاصد الأحكام ببعضها البعض، بحيث تصبح جزءًا من رؤية كلية متكاملة تراعي غاية التشريع وتحقق مقاصده، سواء في تنظيم العلاقات الفردية أو الجماعية، مما جعله يُصنَّف بحق في طليعة العلماء المجددين في مجال التفسير المقاصدي.

إنَّ منهج ابن عاشور في التحرير والتنوير لم يقتصر على استحضار مقاصد الشريعة بصورة عامة، بل سعى إلى إدماجها في جميع مستويات التفسير، سواء في تناول الأحكام الفقهية، أو في إبراز القيم الأخلاقية والاجتماعية، أو حتى في تحليل الظواهر التاريخية والسياقات الإنسانية التي رافقت نزول النصوص القرآنية. وقد أكسبه هذا المنهج شهرة واسعة وجعل تفسيره أحد أهم المراجع في التفسير المقاصدي الحديث والمعاصر، حيث بات النموذج المرجعي الأول الذي يحتذى به في هذا الباب.

المطلب الثاني : نموذج فريد الأنصاري في مشروع «مجالس القرآن»

شغل الدكتور فريد الأنصاري منصب أستاذ أصول الفقه ومقاصد الشريعة الإسلامية بجامعة مولاي إسماعيل في المغرب، ويُعد من أبرز المفكرين الإسلاميين الذين اهتموا بتوظيف المنهجية المقاصدية في تفسير القرآن الكريم ضمن مشروعه المتميز المعروف باسم مجالس القرآن .وقد كان هذا المشروع محاولة منهجية رائدة لإعادة ربط الأمة بالقرآن عبر آلية التدبر الجماعي والتعليم التفاعلي، بما يتفق مع مقاصد النص القرآني وغاياته التربوية.

وضع الأنصاري قواعد واضحة ومنضبطة لتنظيم عمل هذه المجالس القرآنية، حيث شدد في مقدمة مشروعه على أن الهدف الأساسي للمجالس هو «إنجاز مقاصدها التربوية والتعليمية»، وأن تنظيمها يجب أن يتم على أساس منهجي ومضموني وزمني دقيق «كي لا يرد النفع ببعض الاجتهادات التي تكون في غير محلها». وهذا يعكس إدراكه العميق لأهمية الحفاظ على الغاية الكبرى للمجالس وهي تحقيق الأثر التربوي والإيماني للنص القرآني، دون الدخول في تفاصيل جانبية أو اجتهادات شخصية قد تشتت مقصد الحلقة التدبرية [20] ويتسم منهج عرض المادة التفسيرية لدى الأنصاري بترتيب فريد. فهو يبدأ بتقديم مختصر للسورة محل الدراسة، يتضمن مضمونها العام وسياق نزولها، ثم يقسمها إلى حلقات تتناول كل منها جزءًا محددًا أو موضوعًا محوريًا واضحًا. يعقب ذلك تقديم خلاصة تفسيرية مركزة تتجنب الغلو في التفصيل اللغوي، لأن الهدف من المجالس ليس التفسير الأكاديمي التقليدي بل تحقيق "التربية الإيمانية" و"الإرشاد الأخلاقي" على مستوى الفرد والمجتمع، يطرح الأنصاري رسالة تربوية منهجية تساعد في ترسيخ معاني السلوك القرآني داخل قلب المتلقي، حيث يشدد على ضرورة أن تثمر المجالس "عناوين السير إلى الله"، أي تحويل المعاني النظرية إلى سلوكيات عملية. ويتبع هذا الجانب

[19] ابن عاشور، محمد الطاهر. مقاصد الشريعة الإسلامية. القاهرة: دار السلام، 2001.
[20] عبد المجيد النجار. مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2006.

بتوجيه عملي للتخلق بالقيم الفاضلة المستنبطة من النص، وفق مسلك عملي متدرج يراعي الواقع الإيماني والمعرفي للمشاركين.

كما يوصي الأنصاري بضرورة التمهل والتفكر في الآيات من خلال الانطلاق مما "تيسّر من الحكم والمقاصد" التي تتضح بشكل مباشر قبل محاولة الغوص في تفاصيل قد تربك الطالب أو المشارك في الجلسة. ويرى أن هذا التأمل المبدئي هو المفتاح لفهم القرآن فهما يتجاوز ظاهر الألفاظ إلى استيعاب الغايات الكلية للرسالة القرآنية، ولقد وضع فريد الأنصاري ضوابط صارمة تهدف إلى ضبط مسار المجلس التفسيري بحيث لا ينحرف عن أهدافه المحددة، فقد أكد أن كل مجلس يجب أن يكون له موضوع مركزي محدد لا يخرج عنه إلى مباحث جانبية «كي لا تخرج المجالس عن مقاصدها إلى فروع قد لا تناسبها». وبهذا يحصر المادة المطروحة داخل المجلس ضمن الإطار التفسيري الذي يعزز الفهم الشامل للسياق والغاية الشرعية للنص. [21]

وقد أرسى الأنصاري بفلسفته هذه مبدأ **"تفسير التدبر التطبيقي"**، وهو الاتجاه الذي يسعى إلى الاستفادة من النص القرآني في تشكيل السلوك العملي والالتزام القيمي داخل المجتمع، وليس الاقتصار فقط على الجانب اللغوي أو المعرفي المجرد. فقد أكد أن الهدف النهائي لمجالس القرآن هو تحقيق «تنمية إخلاص التوحيد وتربية النفس» عبر العمل اليومي بالمعاني القرآنية، وتحويل التفسير إلى تربية ذاتية مستمرة، يكون المتلقي فيها مشاركًا نشطًا في بناء فهمه للنص الرباني.

ويمثل مشروع فريد الأنصاري، في ضوء هذه المبادئ، تجربة معاصرة متميزة في حقل التفسير المقاصدي العملي الذي يسعى إلى استعادة الوظيفة المركزية للقرآن كمرجعية قيمية وسلوكية للفرد والمجتمع، متجاوزًا بذلك الحدود التقليدية التي حصرت علم التفسير في بيان الألفاظ أو في جدل الخلافات اللغوية والفقهية. [22]

المطلب الثالث: تحليل نقدي للنتائج والتوجهات

تتقاطع منهجية الإمام محمد الطاهر بن عاشور والدكتور فريد الأنصاري في نظرتهما إلى القرآن الكريم باعتباره نصًّا إلهيًا ذا غايات وأهداف كبرى موجّهة لتحقيق مصلحة الإنسان وصلاح المجتمع. إلا أن كلا العالمين قد سلك طريقًا خاصًا في كيفية توظيف هذه الرؤية المقاصدية، مما يجعل دراسة النموذجين تقدم صورة بانورامية للتنوع والتطور في مسار التفسير المقاصدي الحديث.

جذور التقارب بين المنهجين تكمن في الاتفاق على ضرورة استحضار الغاية العليا للتشريع الإسلامي أثناء تناول النص القرآني، فكلاهما يرى أن مقاصد الشريعة بمفهومها الواسع يجب أن تكون الأساس الذي يُسترشد به في عملية الفهم والتفسير. ففي منهج ابن عاشور يتجلى هذا التوجه بصورة جلية، إذ يظهر عبر تحليل الأهداف التشريعية الكبرى للنصوص القرآنية، مستندًا إلى رؤية متكاملة تجمع بين علوم اللغة وأصول الفقه والمنطق لتقديم قراءة تفسيرية شاملة تربط الأحكام بالغايات التي شرعت من أجلها. وقد أبرز في تفسيره أن مقاصد الشريعة ليست مجرد ملحق لفهم الأحكام، بل هي روح التشريع التي تعطي النص بعده العملي والواقعي. [23]

أما الدكتور فريد الأنصاري، فقد قدم مقاربة مختلفة تنبع من طبيعة مشروعه الدعوي والتربوي المتمثل في مجالس القرآن .لقد صاغ الأنصاري رؤيته لتفسير القرآن في سياق يتلاءم مع حاجات المجتمع المعاصر، مركزًا على إدخال المقاصد في التطبيق العملي وليس فقط في التنظير الأكاديمي. ويتميز نهجه بالسعي إلى تحفيز التدبر الجماعي للنصوص، وربطها مباشرة بسلوك الأفراد وقيم المجتمع الإسلامي،

[21] يوسف القرضاوي. مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية. القاهرة: مكتبة وهبة، 2000.
[22] سعد عي. (2022). اكتشافه في الفكر الإسلامي المعاصر عند العلامة فريد الأنصاري – رحمه الله –. مجلة التطوير العلمي للدراسات والبحوث (JSD)، 3(10)، 109-126.
[23] كروي، فاطمة، بوقلقولةو عاشور/مؤطر. (2019). المقاصد الجزئية عند الإمام محد الطاهر ابن عاشور (أطروحة دكتوراه، جامعة احمد الخبير-ادرار).

مع التأكيد على تنظيم المجالس بشكل منهجي يضمن تحقيق أهدافها التربوية والتعليمية ضمن ضوابط دقيقة تحول دون خروجها عن مقصدها الأساسي.

يتسم نموذج ابن عاشور بالشمولية الأكاديمية والانضباط المنهجي؛ فهو يعتمد على أدوات علمية راسخة ويعالج النصوص ضمن رؤية معرفية واسعة تتسم بالترابط والتكامل بين الجزئيات والكليات، ويحرص دائمًا على التأصيل الفقهي للنص. بينما يتميز نموذج الأنصاري بالعملية التطبيقية، حيث يوجه اهتمامه نحو التأثير التربوي المباشر على المشاركين في المجالس، ويحرص على جعل القرآن محورًا لإصلاح السلوك وتزكية النفس، وفق رؤية تربوية قائمة على التدبر العملي والتفاعل الحي مع النص.

إن الفارق الأساسي بين النموذجين يكمن في الطبيعة الوظيفية للمقاصد؛ فقد جعل ابن عاشور من المقاصد أداة رئيسية لاستنباط الأحكام وإدخال بعد الحكمة والتعليل في تفسير النصوص، بينما استخدمها الأنصاري كوسيلة لتفعيل النص القرآني في الواقع الاجتماعي والسلوك اليومي للمسلم، مؤكدًا على أن غاية المجالس ليست مجرد فهم النص وإنما تطبيقه بصورة ملموسة.

يمكن القول إن النموذجين يمثلان مرحلتين تاريخيتين مختلفتين من مسار تطور الفكر التفسيري: يمثل ابن عاشور حقبة النهضة العلمية في مطلع القرن العشرين، حيث اجتهد في ترسيخ قواعد أكاديمية لفهم مقاصد القرآن ضمن منهج متكامل، أما فريد الأنصاري فقد جسّد مرحلة لاحقة سعى فيها إلى تفعيل هذه المبادئ النظرية وجعلها جزءًا من مشروع إصلاحي يربط القرآن مباشرة بالواقع الاجتماعي للمسلمين في القرن الحادي والعشرين ورغم اختلاف الأسلوبين، فإن النموذجين يتفقان على ضرورة الانفتاح على مقاصد الشريعة واعتبارها إطارًا هاديًا لأي عمل تفسيري. غير أن التزام ابن عاشور بضوابط العلم الأكاديمي جعله يقدّم نموذجًا معجميًا متكاملاً في أدب التفسير المقاصدي، بينما يُعدّ الأنصاري نموذجًا دعويًا حديثًا يسعى إلى تحقيق نفس الأهداف بأسلوب تطبيقي وتجديدي يجعل من التدبر القرآني وسيلة لإعادة بناء الشخصية الإسلامية وقد أظهرت الدراسات التحليلية أن ابن عاشور قدّم منهجًا تفصيليًا يوازن فيه بين أقوال العلماء بما يحقق مقصدًا عامًا أو جزئيًا من كليات الشريعة، وأكد باحثون آخرون على منهجه المقاصدي الواضح من خلال استدعائه لجميع أدوات تفسير النص لكشف الغايات العليا للنص القرآني. وبالمثل، ركزت الدراسات حول تجربة فريد الأنصاري على أهمية إبقاء حلقات مجالس القرآن ملتزمة بأهدافها التربوية المحددة، مع ضرورة التدرج المنهجي في عرض المادة التفسيرية بشكل مختصر يبرز جوهر الرسالة القرآنية بعيدًا عن التعقيد اللغوي أو الفقهي المفرط. كما يُحسب لابن عاشور أنه أول من قدّم علم المقاصد بوصفه نظامًا علميًا مستقلاً، وربط هذا العلم بالرؤية العليا للقرآن في تحقيق «صلاح الأحوال الفردية والجماعية والعمرانية» باعتباره الهدف الأسمى للوحي الإلهي. [24]

الخاتمة

بعد استعراض وتحليل منهجية التفسير المقاصدي في الفكر الإسلامي المعاصر، يمكن القول إن هذا الاتجاه مثّل إضافة نوعية ومهمة في تجديد علم التفسير، إذ أتاح للمفسر المعاصر تجاوز القراءة الحرفية للنص القرآني والارتقاء بفهمه إلى مستوى الغايات الكلية والمقاصد العليا التي قصدها الشارع الحكيم. وقد أبرز البحث أن المنهجية المقاصدية تقوم على التوازن الدقيق بين ظاهر النص وروحه، بين الثابت والمتغير، وبين تحقيق المصالح الإنسانية والالتزام بمرجعية النص الشرعي.

[24] كروي، فاطمة، بوقلقولة، & عاشور/مؤطر. (2019). المقاصد الجزئية عند الإمام محمد الطاهر ابن عاشور (أطروحة دكتوراه، جامعة احمد الخبير-ادرار).

وقد توصلت الدراسة إلى أن المدرسة الإمامية، رغم عدم تأصيلها للمقاصد كعلم مستقل كما فعلت مدارس أهل السنة، قد مارست هذا المنهج عملياً من خلال تفسير النصوص في ضوء الروايات الموثوقة عن أهل البيت عليهم السلام، مع مراعاة تحقيق الغايات الربانية والأهداف التشريعية العليا. وتمثّل هذا بوضوح في تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي وغيره من مفسري الإمامية.

كما بينت الدراسة أن أعلام التفسير المقاصدي في العصر الحديث، مثل الإمام محمد الطاهر بن عاشور والدكتور فريد الأنصاري، قدّموا نماذج رائدة في هذا المجال؛ حيث مزج ابن عاشور بين علوم اللغة وأصول الفقه والمنطق لإبراز روح التشريع الإسلامي، بينما سعى الأنصاري إلى ربط النص القرآني بالواقع الاجتماعي والتربوي للأمة، من خلال مشروعه العملي في "مجالس القرآن". ويظهر من خلال مقارنة هذين النموذجين أن التفسير المقاصدي اتخذ أشكالًا متعدد

، أكّد البحث على أهمية ضبط منهجية التفسير المقاصدي وفق قواعد واضحة، أهمها: استناد المقاصد إلى أدلة قطعية، عدم تجاوز دلالات النصوص، مراعاة الثبات والاطراد في استنباط الأحكام، والالتزام بالتكامل النصي واللغوي للقرآن الكريم. فهذه الضوابط تشكّل صمام للمنهج المذكور.

أهم المصادر والمراجع المعتمدة:

خير ما نبتدئ به القرآن الكريم .

(1) الطباطبائي، محمد حسين. الميزان في تفسير القرآن. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بدون تاريخ.
(2) الخوئي، أبو القاسم الموسوي. البيان في تفسير القرآن. قم: مؤسسة نشر التشيع، 1991م.
(3) الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي. الموافقات في أصول الشريعة. تحقيق: عبد الله دراز. بيروت: دار الكتب العلمية، 2003م.
(4) ابن عاشور، محمد الطاهر. مقاصد الشريعة الإسلامية. تونس: دار سحنون، 2001م.
(5) البقاعي، برهان الدين. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. بيروت: دار الكتاب العربي، 1995م.
(6) محمد رشيد رضا. تفسير المنار. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م
(7) المراغي، أحمد مصطفى. تفسير المراغي. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1969م.
(8) محمود شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة. القاهرة: دار الشروق، 1993م.

(9) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1997.
(10) فريد الأنصاري، ، مجالس القرآن: مدارسات في التفسير المنهجي، دار السلام للنشر والتوزيع، القاهرة، 2010.
(11) محمد عابد الجابري، ، فهم القرآن الحكيم: التفسير الواضح حسب ترتيب النزول، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006
(12) طه عبد الرحمن، سؤال الأخلاق: مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000.
(13) علي حبيب سعيد العزاوي. (2023). التراث الاسلامي والحداثة عند محمد عابد الجابري. مجلة جامعة بابل للعلوم الانسانية، 31(8)، 220-242.
(14) أحمد الريسوني، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1992
(15) أ حمد عبد المجيد بيبرس، ، "مقاصد الشريعة وعلاقتها بالتفسير الموضوعي للقرآن الكريم"، مجلة كلية الشريعة والقانون بطنطا، جامعة الأزهر، العدد 32، 2017.
(16) حفظي عبد العال، و محروس رمضان. (2022). أوجه الاستفادة من التفسير المقاصدي للقرآن الكريم في الواقع المعاصر. مجلة قطاع أصول الدين، 17(17)، 81-260.
(17) عابد، نجيبة، بركاني و أم نائل. (2022). معالم التفسير المقاصدي عند الإمام ابن عطية الأندلسي من خلال تفسيره المحرر الوجيز. مجلة الشهاب، 8(3)، 123-146.
(18) ابن عاشور، محمد الطاهر. التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية للنشر، 1984.
(19) ابن عاشور، محمد الطاهر. مقاصد الشريعة الإسلامية. القاهرة: دار السلام، 2001.
(20) عبد المجيد النجار. مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2006.
(21) يوسف القرضاوي. مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية. القاهرة: مكتبة وهبة، 2000.
(22) سعد عي. (2022). اكتشافه في الفكر الإسلامي المعاصر عند العلامة فريد الأنصاري – رحمه الله –. مجلة التطوير العلمي للدراسات والبحوث (JSD)، 3(10)، 109-126.
(23) كرومي، فاطمة، بوقلقولةو عاشور/مؤطر. (2019). المقاصد الجزئية عند الإمام محمد الطاهر ابن عاشور (أطروحة دكتوراه، جامعة احمد الخبير-ادرار).
(24) كرومي، فاطمة، بوقلقولة، & عاشور/مؤطر. (2019). المقاصد الجزئية عند الإمام محمد الطاهر ابن عاشور (أطروحة دكتوراه، جامعة احمد الخبير-ادرار).